

# الصناعات التراثية بالجزائر وعلاقتها بثوابت الهوية والأصالة - الحللي أنموذجا

## Heritage industries in Algeria and their relationship to the constants of identity and originality

### Jewelry as a model -

يمينة تسكورت<sup>1\*</sup>، عاشور شفيقة<sup>2</sup>

[taskourthyamina@gmail.com](mailto:taskourthyamina@gmail.com) 1 معهد الآثار . جامعة الجزائر2- الجزائر

[chafika.achour@yahoo.fr](mailto:chafika.achour@yahoo.fr) 2 معهد الآثار . جامعة الجزائر2- الجزائر

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2020/12/31

تاريخ القبول: 2020/11/15

تاريخ الإرسال: 2020/10/31

ملخص:

تعتبر الصناعات التراثية والحرف التقليدية من بين الشواهد المادية التي تخلفها الشعوب، لهذا تعد سجلا تاريخيا ينقل إلينا مختلف مميزات وخصائص هذه الصناعات، كما هي مرآة عاكسة عن ثقافة صانعيها لما تحمله من عناصر زخرفية ذات دلالات ترمز إلى الموروث الفني الموهل في القدم والضارب بجذوره إلى الإرث الحضاري للجزائر كلها. وتمثل مجمل التراث الثقافي في مجموع المنتوجات الفكرية والمصنوعات الشعبية لمجتمع ما، فهي كل تلك التراكمات الممارسية التي تبقى وتستمر عبر العصور والأزمنة حتى تصل إلى الأجيال الأخيرة بعد أن تأثرت بكل التحولات الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية التي يشهدها هذا المجتمع وهي أيضا القيمة المستخلصة لهذه الممارسات المادية وغير المادية لهذا المجتمع، كما يشمل هذا التراث الأشياء المتوارثة المجسدة والملموسة كالمقتنيات ذات الأهمية الجمالية والفنية، كذلك العادات والتقاليد الشعبية والفنون والحرف والصناعات اليدوية التقليدية بما في ذلك الدلالات الرمزية المكونة في كل القطع المصنوعة في مختلف الحرف التقليدية اليدوية والتي يعبر عنها الحرفي، وكذا طريقة استعمال هذه المصنوعات، في مناسباتها وأماكن استعمالها مثل الحللي كأحسن مثال، كما ودورها في تنمية الروابط الاجتماعية ودفع العجلة الاقتصادية وترقية الجانب الثقافي والسياحي الداخلي والخارجي وفق معايير ومساهمات خاصة.

كلمات مفتاحية: التراث الثقافي؛ الحللي التقليدية؛ الفنون؛ الحياة الاجتماعية.

\* المؤلف المرسل

**Abstract:** Heritage industries and traditional crafts are among the material signs left by the people, so it is a historical record that conveys to us the various characteristics and properties of these industries, as well as reflective of the culture of their makers for the decorative elements that bear the connotations of the artistic heritage of the foot and the hitter Its roots to the cultural heritage of all of Algeria.

The totality of cultural heritage in the total of the intellectual products and the popular manufactures of a society, they are all those Industries accumulations that remain and persist through the ages and times to reach the last generations after having been affected by all the social, economic and cultural transformations witnessed by this society It is also the value of these physical and non-material practices of this society, and this heritage includes inherited objects embodied and tangible, such as objects of aesthetic and artistic importance, as well as folk customs and traditions, arts and crafts and traditional handicrafts, including The symbolic connotations of all the pieces made in the various traditional handicrafts and expressed by the Craftsman, as well as the method of using these manufactures, in their occasions and places of use such as ornaments as the best example, and their role in the development of social bonds and the acceleration of economic and promotion The cultural and touristic aspect of the interior and the exterior according to special criteria and contributions.

**Keywords:** Cultural heritage; traditional ornaments; arts; social life.

### مقدمة:

تعتبر الحلي التقليدية من اللواحق الضرورية للزخرفة والجمال المرتبطة بالاستعمال الخاص للتقنيات المختارة والمواد الأولية اللازمة لصناعة نماذج موجودة، والتي تعبر عن نوعية النمط المعيشي، والدقة في الإبداع لمجموعة من المجتمع والشعوب. وقد اعتبر الحلي التقليدي عنصرا هاما في إبراز ثقافة الحضارات البشرية، ناقلا بذلك متطلبات الحياة اليومية، حسب المعايير التقنية والأشكال الزخرفة الخاصة بالمجموعة التي تنتجها، وقد استعملت هذه الحلي سواء في المناطق الحضرية أو الريفية للترزين وهي أيضا مشحونة بالمعاني والدلالات المرتبطة بالعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية وبعضها يكتسي حتى صفة طبية، تحتوي على طلاس، وتعويدات موجهة لكسب

الطبيعة وإبعاد الحظ السيئ، استعملت للحماية وتمديد الحياة وزيادة الخصوبة، لذلك كانت الأشكال الهندسية والفلكية أو الحيوانية التي تظهرها رموزا سحرية. فالتراث الثقافي الذي من زمرته الحلي، هو تلك الأشياء المتوارثة المجسدة والملموسة كالمقتنيات ذات الأهمية الجمالية والفنية، يشمل كذلك العادات والتقاليد الشعبية والفنون والحرف والصناعات اليدوية التقليدية بما في ذلك الدلالات الرمزية المكنونة في كل القطع المصنوعة في مختلف الحرف التقليدية اليدوية والتي يعبر عنها الحرفي، وكذا طريقة استعمال هذه المصنوعات، مناسبات وأماكن استعمالها. عمد المختصون إلى تصنيف التراث الثقافي إلى صنفين:

### أولا. التراث الثقافي اللامادي:

حسب المنظمة الأممية اليونسكو UNESCO التراث الثقافي اللامادي هو كل إرث يشمل التظاهرات الثقافية، التقليدية والشعبية حيث لعبت اللغة كعامل ودور تعميم وتوحيد واستمرارية هذه النشاطات، والتي حددت في العادات الاجتماعية والطقوس الدينية، هو أيضا التقاليد والألعاب الشعبية والفن الرمزي والأساطير وكذا مختلف المراسيم الاحتفالية والرموز والرمزية في الصناعات التقليدية..الخ.

### ثانيا التراث الثقافي المادي:

الجانب المادي كما أشرنا سابقا قد يكون تلك المعالم التاريخية الرائعة التي شيدها الأسلاف، أو تلك المصنوعات الخزفية المزينة بشتى الأشكال أو حتى تلك الزرابي المنسوجة بإتقان بأيدي فائقة الدقة. سوف نتطرق إلى عدد من الحلي التقليدية التي تحتفظ بها ذاكرة وممارسات بلادنا الجزائر جملة، لأن للأسف بالنسبة للكثير منها تفتقر للمعلومات للقيام بدراسة شاملة وكاملة، لعل المستقبل يسمح لنا بذلك. وتفيدنا الأبحاث في علم الآثار أن الحلي الأولى قد ظهرت في عصر ما قبل التاريخ، فنتائج أعمال الحفريات كتلك التي أجريت بمقبرة بني مسوس، القريبة من مدينة الجزائر والتي عثر فيها على مجموعة من الأقراط ومشابك (إبزيم) الضخمة والخلاخل من البرونز تؤكد ذلك.

بعدها ظهرت حلي تعود للفترة الليبية بموقع تيديس بشرق الجزائر بحيث المجموعة التي عثر عليها تمثل دليل على مدى الرقي والجمال والتنوع الذي وصلت إليه هذه الصناعة

فيتلك الحقبة من التاريخ، فقد وجدت في هذه المواقع مصنوعات تشهد عن معرفة ومهارة عالية وذوق جمالي في الصناعة الزخرفية.

هناك أيضا كنز "تين هينان" الذي يتكون من أساور دقيقة الصنع وعقود العقيق الأحمر الذي يعود صنعها إلى القرن الرابع ميلادي، فالبعض منه ما يزال معروضا بالمتحف العمومي الوطني للباردو كدليل على التنوع الرائع للحس الجمالي منذ الأزل.

للحلي دورين واضحين وصريحين، فهي أداة للزينة والجمال تستعملها المرأة بصفة خاصة لإبراز جمالها وهي في نفس الوقت طريقة لجمع الثروة، فتستعمل لذلك كرمز للتعبير عن الترف وأداة لمقابلة الشدائد الزمن تارة أخرى.

بالرغم من أن الحلي مصنوعة من نفس المواد الأولية تقريبا وبالرغم من أن لديها لغة رمزية مشتركة أو بالأحرى متشابهة ومقاربة إلا أن التقنيات الزخرفية المستعملة في صناعاتها تختلف من منطقة لأخرى، فكل منطقة نمطها الخاص المعروفة به.

وحتى المرأة الريفية فقيرة أم غنية كغيرها من النساء، ترغب في التزين بالحلي لتظهر في قمة جمالها، سواء في الحياة اليومية أو في المناسبات الخاصة والعامة، فهي تعمل على إبراز جمالها، لأن الحلي ببساطته يتعدى منطلق الزخرفة بالإضافة إلى كونه رمز للثراء.

ثالث الجانب التاريخي للحلي والصناعات التقليدية وعلاقتها بمعالم الهوية الوطنية:

إن التراث الثقافي بصفة عامة هو عبارة عن تاريخ وثقافة مجتمع التي أوجدت في الماضي واستمرت عبر العصور والأزمات إلى أيامنا هذه، رغم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهذا لا يعني إلا الإرث الماضي البعيد المصنف والمحمول في مراكز الأرشيف والمكتبات والمتاحف، بل يشمل نماذج من الصناعات التقليدية الحديثة، فهو تراث حي وحيوي، يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب.

كما أن التراث الثقافي لا يقتصر على الأشياء المتوارثة الملموسة كالمواقع الأثرية والمقتنيات ذات الأهمية الفنية، بل يخص كل العادات والتقاليد الشعبية والفنون والحرف والصناعات التقليدية، وكذا الدلالات الرمزية في مختلف الحرف اليدوية ويعرف بالتراث الثقافي غير المادي.

وتتفرع صناعة الحلي من صناعة المعادن، وهي من فعل "عدن" فيقال عدن فلان بالمكان يعدن ويعدن عدنا وعدونا: أقام، وعدن البلد: توطنه، ومركز كل شيء معدنه،

ومنه المعدن بكسر الدال وهو المكان الذي يثبت فيه الناس لأن أهله يقيمون فيه ولا يتحولون عند شتاء ولا صيفا، ومعدن اذهب والفضة سبي معدنا لإثبات الله فيه جوهرها وإثباته إياه في الأرض حتى عدن أي ثبت فيها، فاسم المعدن لغة يراد به المكان الذي فيه أصل الشيء ومبدؤه<sup>1</sup>، أما في كتب التراث فخلاصة معناه هو أن المعدن قد استعمل للدلالة على مادة المعدن ذاتها أو الموطن الذي يستخرج منه<sup>2</sup>.

وقد عرف الإنسان المعادن منذ القدم، فأنتج منها تحفا مختلفة الأشكال والزخرفة ومتعددة الأغراض والوظائف، كما لعبت الفنون المعدنية دورا كبيرا في العصور الإسلامية، وحظيت بالرعاية والتشجيع من قبل الحكام، حيث شكل الفنان المسلم من المعادن ما يستخدم في الحياة اليومية من أواني وقدر نحاسية أو ما يتخذ للحلية، وكانت أهم المعادن التي استعملها المسلمون هي النحاس والحديد والبرونز والذهب والفضة، واستعملوا طرقا وتقنيات مختلفة في صناعتها وزخرفتها وبالتالي تنوعت المشغولات المعدنية، في الفن الإسلامي، وتعددت الأشكال والأحجام والزخارف والمادة<sup>3</sup>، أما بمنطقة تيبازة فقد عرفت هذه الفنون نهضة كبيرة خلال العهد العثماني، حيث استخدم الصنّاع كل أنواع المعادن في صنع منتجات فنيّة، فاتقوا بذلك طرق صناعتها وزخرفتها.

كما عرفت الجزائر جميع أنواع المعادن كالنحاس بأنواعه والقصدير والفضة، وقد أبدع الفنانون في صنع تحفهم وزخرفتها مما جعل الإقبال على شرائها شديدا، من النحاس بأنواع: الأحمر والأصفر والذهبي والقصدير، والفضة والبرونز والحديد.

كما وكانت مراكز الصناعة المعدنية بالجزائر عموما عبارة عن حوانيت ضيقة يشتغل بها عدد من الصنّاع، وقد خصّص لها سوق لبيع منتجاتها ولم يكن هناك حدّ فاصل بين الصنّاع والتجار، إذ كان من الصنّاع من يقوم ببيع منتجاته بنفسه دون اللجوء إلى وسيط<sup>4</sup>، ومن بين المقتنيات المذكورة في المصادر، المباخر والأباريق والميضئات والمرشّات

<sup>1</sup> - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ج13، دار بيروت للطباعة والنشر 1955 م، ص 279

<sup>2</sup> - البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد): الجماهير في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن 355 هـ / 1936 م، ص 38.

<sup>3</sup> - الطائيش (أحمد): الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2000 م، ص 50.

<sup>4</sup> - Petits métiers algérois , Jourdan , Alger 1901 ; P 45

والصحنون بمختلف أشكالها، والقناديل والطاسات ذات الغطاء، والعلب الفضية والذهبية.

واستعمل صانع الأدوات المعدنية أدوات عدة لتنفيذ صناعة أي تحفة من تلك التحف وزخرفتها، إلا أن هاته الصناعة وللأسف لم تعد موجودة اليوم، ما عدى الصناعة الذهبية والتمثلة في صناعة المجوهرات والحلي الذهبية، والتي تحمل وليومنا هذا ذلك التأثير العثماني ولو بنسبة ضئيلة إلا أن التشابه جليا إذا ما قارناها بالتحف العثمانية، لذلك حاولنا فتح مجال دراستنا لها وعرض كل ما خصها، كمنافس للحلي القبائلية المحلية في نفس المرحلة التاريخية بكل ربوع الوطن.

وتمثلت الحلي والمجوهرات خاصة في صناعتها بمادة الذهب الذي هو معدن ثمين وهو "التجر"، وفي الصحاح "التبر" ما كان من الذهب، وبعضهم يقول الفضة<sup>1</sup>، كما عرف الذهب عند العرب بتسميات مختلفة فقليل أن يدخل في الصناعة هو التبر<sup>2</sup>، ومن تسميات الذهب النضار والعسجد<sup>3</sup>، هذا وقد تم ذكره في كتاب الله العظيم، وتبيان أهميته كغرض من أغراض شهوة الإنسان واهتمامه لزينته، فقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ حَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾<sup>4</sup>، وقال أيضا: ﴿يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَكِينِينَ عَلَى الْأَرْزَاقِ نِعْمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾<sup>5</sup>، وفي نفس سياق متاع مقامي الجنة قوله تعالى: ﴿يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرًا﴾<sup>6</sup>.

وفي السيرة قوله صلى الله عليه وسلم عن وصفه لسدره المنتهى عند حادثة الاسراء والمعراج: "لَمَا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَجِدُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ

<sup>1</sup> البستاني: دائرة المعارف، المجلد الثامن، مطبعة المعارف، بيروت 1886 م، ص 381

<sup>2</sup> الفيروز آبادي (محمد الدين بن يعقوب): القاموس المحيط، ج1، ط2، مطبعة الباني العالي وأولاده 1371هـ/1953 م، ص 72.

<sup>3</sup> العسكري (أبو هلال): التلخيص في معرفة الأشياء، تحقيق: د عزة حسن، ج 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د-ت، ص

1378

<sup>4</sup> القرآن الكريم: سورة آل عمران: الآية 14.

<sup>5</sup> القرآن الكريم: سورة الكهف: الآية 31.

<sup>6</sup> القرآن الكريم: سورة الحج: الآية 23.

يَصِفُهَا مِنْ حُسْنِهَا" <sup>1</sup>، وقوله أيضا: "رَأَيْتُ السِّدْرَةَ يَعْشَاهَا قَرَأَشٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَرَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مَلَكًا قَائِمًا يُسَبِّحُ لِ اللَّهِ تَعَالَى" <sup>2</sup>.

ويعتبر هذا المعدن من المواد الثمينة جدا، أصفر براق وجد منذ القديم ولم يتغير، يتأثر بحمض الكلور والزئبق، ونجده أحيانا مخلوط في الطبيعة بالنحاس والفضة أو على حالته الطبيعية، ويتم استخراجها بواسطة الغسل المستمر وتصفيته من الشوائب، أو بالمعالجة الكيميائية، واستخدام في البداية في صك النقود وبعدها استعمله الصاغة في صناعة المصوغات <sup>3</sup>.

فالإنسان بطبيعته ومنذ القديم ميال للتجميل والتحلي حتى بأبسط ما كان يمتلك من إمكانياتو للمجوهرات والحلي دور حضاري في بناء شخصية الإنسان، وفي تاريخ الشعوب، فهي وسيلة لدراسة الشخصية الاجتماعية والاقتصادية لكثير من الأقوام، فالحلي تعكس المستوى الحضاري والانساني الذي وصلت إليه تلك الشعوب والأقوام، كما أن التصاميم والتقنيات المتبعة في إنتاج هذه الحلي تعكس الذوق العام لتلك الشعوب، ويتطور حياته تطورت وسائل زينته وطرقها، واختلفت باختلاف البيئات والعصور. والمرأة بطبيعة الحال أكثر ميلا للزينة من الرجل، كون الزينة ملائمة لطبيعتها ومكملة لجمالها، وهذا الأخير له تأثيره على المجتمع عامة والرجل خاصة، لذا سعت المرأة دوما إلى البحث عن وسائل الزينة وطرقها واستعمالها المختلف، مكرسة في ذلك جهودها ووقتها، إضافة إلى ما تصرفه من مال للحصول على بعض أنواعها، إذا فقد ارتبطت الحلي والمجوهرات ارتباطا وثيقا بالمرأة، حيث لعبت تلك الأخيرة الدور الكبير في إظهار شخصية المرأة بشكل عام.

والحلي اسم لكل ما يتزين به من مصاغ من الذهب والفضة <sup>4</sup>، والحلي يضم الحاء وشديد الثاني وكسره جمع حلي هو ما يتخذ للزينة من الذهب ونحوه، ليقال تحلّت المرأة أي لبست حلية فهي حلية وحالية <sup>5</sup>، فالحلي إذن هي كل ما يتزين به من مصوغ

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام مسلم أيضا في الصحيح رقم 379.

<sup>2</sup> - أنظر كتاب تفسير أبي السعود، ج 5، ص 175.

<sup>3</sup> - Nombre et conput 'Or' in dictionnaire , Paris 1981 , P 600.

<sup>4</sup> - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): الدر الثبير تلخيص نهاية ابن الأثير، ج1، 1908 م، ص 290.

<sup>5</sup> - عطية الله (أحمد): القاموس الإسلامي، المجلد الثاني، ص 139.

المعدنيات والحجارة<sup>1</sup>، كما تطلق لفظة حلية على السيف ونحوه مما يتحلى ويتزين به الرجال<sup>2</sup>، وقد ورد ذكر الحلي بالقرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مَالِحٌ أَجَاجٌ، وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾<sup>3</sup>، وعلى كل فالحلي ضرب من ضروب الزينة التي عرفت المرأة استعمالها الواسع منذ القدم، ولا شك في أن شكلها الحالي لم يكن هو الشكل الأول الذي ميّزها، وإنما مرّت بعدة محال اصطبلت بميزة كل فترة من تلك الفترات التاريخية، والأقرب لفترتنا الفترة العثمانية الإسلامية التي مازال تأثير حليتها على صناعة بعض حلية مدن الجزائر الحضاريتين ظاهر وبارز إلى يومنا.

قد اشتهرت المرأة بالمبالغة في اتخاذ الحلي واقتناءها، لما كانت تحمل الكثير من الدلائل والرموز التي تبين وضع المرأة الاجتماعي، ومكانتها في مجتمعها، فهي زينة ضرورية للحياة اليومية لتصبح أهم أيام الأفراح والحفلات والمناسبات الخاصة، فكثرت تدل على غنى حاملتها وعائلتها، ومعظم ما وجد من حلي بمدن مدينة الجزائر، تشابهها في الشكل وطريقة اللبس، نفسها نفس المصنوعات النسيجية والتي أيضا لا يزال السكان محافظين عليها.

والحلي بالنسبة للمرأة الجزائرية هي جزء مما تفرضه التقاليد على الرجل، حيث يتوجب عليه عند عقد قرانه بالزوجة أن يهديها بعض من الحلي، حسب ما يستطيع، لتوفر المرأة بها غرضان أساسيان وهما: أولا: تتزين وتتأنق بها، ثانيا: الدور الاقتصادي فالمرأة تعمل على جمع أكبر كمية من المجوهرات لتباع عند الحاجة ويستعان بثمنها لحل أي ضيقة مادية مالية، فقد قيله عن الحلي محليا " الحديد للشديد " أي لوق الضيق، والحلية الجزائرية بصفة عامة تكمن أهميتها في شخصيتها المتميزة في التصميم، والأشكال التي تعكس الكثير من المعتقدات والأفكار الدينية، حيث استعمل الصائغ أي صانع الحلي، الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى في العديد من قطع المجوهرات، وأخذت العديد منها اشكال ورموز إسلامية كالهلال والنجمة، والعملات الإسلامية، لتكتسب بذلك ميزة وتفردا عن غيرها.

<sup>1</sup> - ابن سبدة (علي بن اسماعيل): المخصص، المطبعة العصرية، تونس 1956 م، ص 93.

<sup>2</sup> - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن كرم): لسان العرب، المصدر السابق، ص 711.

<sup>3</sup> - القرآن الكريم: سورة فاطر: الآية 12.

والملاحظ من خلال المصادر خاصة الأجنبية أن صناعة الحلي كانت رائجة بالجزائر كلها قبل توافد العنصر اليهودي من مدينة ليفورن، أما بعد ذلك فلم تقدر الصناعة المحلية الديزيرية على منافسة الصنعة اليهودية، كما وقد اشتغل اليهود في خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها، خاصة حرفة صناعة المعادن النفيسة والعملة كانت من بين أنشطتهم الأساسية، حيث استعانت الدولة بالحرفيين اليهود في حرفة الحلي<sup>1</sup>، ويطلق على الصائغ أو من يشتغلون بالذهب "صورفيم" بالعبرية والتي تعني بالعربية "الذهابين" وأطلق عليهم أيضا أطلقوا عليهم "السكاكين" أو "الصياغين" أو صهار الذهب<sup>2</sup>، وكان كثير من اليهود صائغين ونادرا ما كان المسلم يمارس مهنة صائغ إذ كانوا ينظرون إلى الذي يبيع الأشياء الذهبية بسعر أعلى من الذي يساوي وزنها على أنها ربا، ولذلك كان الحكام يعطون اليهود الترخيص بممارسة هذه الحرفة<sup>3</sup>.

وصناعة الحلي الجزائرية أثناء العهد العثماني خاصة، تميزت بإتقان ودقة الصنع، حيث أن الفن في هذه الفترة كان يعتبر مزيجا يتم بعدة أساليب فنية، نتجت عن تأثيرات مختلفة منها التأثير الأندلسي والعثماني، إذ منذ أن وطئت أقدام الأندلسيين والعثمانيين أرض الجزائر وهم في نشاط مستمر. لنشر أنماطهم الحضارية وفنونهم وعاداتهم بين الجزائريين<sup>4</sup>، كما ظهر التأثير الأوروبي على مختلف الصناعات التقليدية والتحف، وهذا التأثير ناتج عن تقليد الحرفيين للتحف الأوروبية المستوردة خاصة الإيطالية<sup>5</sup>، لكن على الرغم من كل تلك التأثيرات، احتفظ السكان الأصليون للجزائر على طبائعهم وتقاليدهم، وبقي الأسلوب المحلي ظاهرا، فانتشرت صناعة الحلي عبر مختلف مناطق الجزائر<sup>6</sup>، لكن تلك التأثيرات خلقت منافسة بين المصنوعات المحلية والمستوردة ما ساعد الصغفات على تطوير صناعتهم<sup>7</sup>، كون الصناعة المحلية بعد فترة

<sup>1</sup> - موريس (لومبار): الاسلام في المجلد الأول القرن 25 هـ / 8 - 11 م، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ط1، الجزائر 1979 م، ص 309.

<sup>2</sup> - حاييم (زعفراني): ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، الجزائر 1979 م، ص 309.

<sup>3</sup> - الوزان (حسنين محمد): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد مجيب محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار العرب الإسلامي بيروت، لبنان 1983 م، ص 284.

<sup>4</sup> - سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980 م، ص 142.

<sup>5</sup> - سعد الله (أبو القاسم): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الجزائر 1982 م، ص 155.

<sup>6</sup> - Berque (A): l'Algérie terre d'art et d'histoire, Alger 1937, P 282, 283.

<sup>7</sup> - سعيدوني (ناصر الدين): النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1830 - 1800 م، الجزائر 1979 م، ص 36.

عرفت القدم والركود، والسبب الأول في ذلك هو توريث الحرفة للأبن عن الأب دون محاولة لتطويرها وتحسينها وإدخال الأذواق الجديدة عليها<sup>1</sup>.

لذا تعتبر الحلي التقليدية من اللواحق الضرورية للزخرفة والجمال، وهذا من خلال ميزات التقنية المرتبطة باستعمال الخاص للتقنيات المختارة والمواد الأولية اللازمة لصناعة نماذج موجودة، والتي تعبر عن نوعية النمط المعيشي، والدقة في الإبداع لمجموعة من المجتمع والشعوب، كما واعتبرت عنصرا هاما في إبراز ثقافة الحضارات البشرية، ناقلا بذلك متطلبات الحياة اليومية، حسب المعايير التقنية والأشكال الزخرفة الخاصة بالمجموعة التي تنتجها.

وفيما يلي سندرج أنواع هاته الحلي مع تبيان دلالتها تباعا:

### 1- حلي المناطق الحضرية:

مصنوعة عادة من الذهب أو الفضة، تتميز بحلي دقة الصنع وروعة الأشكال وارتفاع الكلفة، تبرز المواد المستعملة في إنجازها النوع الراقي للنمط المعيشي لأهل المدن، بحيث تزود الكثير من هذه المجوهرات بالأحجار الكريمة الثمينة، فتلك القلادة المسماة الجبين أو العصابة نسبة لمدينة الجزائر والتي تضعها المرأة على جبينها، ترصع بالماس، كذا خيط الروح الذي يوضع على الرأس، هذا الأخير يسمى بالزرروف في كل من منطقة قسنطينة وتلمسان، في هذه المنطقة قد تصل عدد الزروفات التي تضعها المرأة إلى أربعة بينما العاصمة لا تستعمل إلا واحدا<sup>2</sup>.



العصابة (الجبين)

<sup>1</sup> - حليبي (عبدالقادر): مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1810 م، المطبعة العربية لادار الفكر الاسلامي، الجزائر 1972 م، ص 299.

<sup>2</sup> - بن ونيش ف: " الحلي التقليدي في الجزائر، سلسلة فنون وثقافة، الجزائر 1976م، ص 15.



خيط الروح



عصابة (الجين)

## 2- حلي منطقة القبائل:

مصنوعة من الفضة المرصعة بالمرجان والمزينة بمادة المينا ذات الألوان الثلاثة: الأخضر، الأزرق والأصفر لا غير، عليها أقفال في غاية الجمال والدقة، تزخرف بخيوط من الفضة المفتولة تحدد دعائمها بخطوط منكسرة ومزيج مبتكر من أشكال هندسية يغلب عليها شكل الدمعة، كل تلك الأشكال تم توظيفها بطريقة عبقرية، أحيانا تضاف إليها خطوطا متموجة أو مكلفة بالزهور أو المرشاة بكريات فضية، كل هذا المزيج من الأشكال مرصع بالمرجان الأحمر الساطع الذي يعكس لون الفضة الباهت<sup>1</sup>.



خلخال من الفضة



سوار من الفضة

<sup>1</sup> - Camps Fabrer(H), Bijoux berbères d'Algérie, Edisud, France, 1990, p87.

### 3- حلي منطقة الأوراس:

تتميز هذه الحلي بالدقة والأناقة والجمال وتتكون من صفائح مجوفة أو مخرمة والتي تزين بالفتائل الذهبية والياقوت الأحمر واللؤلؤ والسلاسل المختلفة، أما الزخرفة فتتميز بالنقوش والزخرفة الهندسية<sup>1</sup>.



زوج خلخال من الفضة



زوج من الاساور



إبزيم

### 4 حلي الأطلس الصحراوي:

وهذه المجموعة من الحلي عبارة عن مزيج بين عدد من المميزات والتقنيات التي توجد بالجنوب الجزائري، والموجودة بالشمال وهذا راجع للموقع الجغرافي فهو عبارة عن منطقة عبور واتصال بين الشمال والجنوب وتصنع الحلي من الفضة والنحاس والذهب، وأشهر مناطقها أولاد نايل وبوسعادة.

<sup>1</sup>-BENFOUGHAL Tatiana Bijoux de l'Aurès, Paris, 1980 , et Bijoux et bijoutiers de l'Aurès, CNRS Editions, Paris, 1997.



طقم صدري



زوج من الأساور

#### 5. حلي منطقة الجنوب الجزائري:

حلي في منتهى البساطة من ناحية الشكلية لكنها في منتهى الروعة والجمال من الناحية الزخرفية، تصنع عادة من الفضة والنحاس أو بمزيج منهما، تتخذ أشكال مثلثات، مستطيلات ومعينات، أما الزخرفة فتتم باستعمال تقنية الحز والتطريق.



قلادة (خميسه) حاملة توائم



زوج من الاساور

### رابعا-الدلالات الرمزية في الحلي التقليدية الجزائرية:

اعتبرت الزينة والحلي قديما حركة وسلوك سحري، فبالإضافة إلى أنها قد استعملت للترزين فقد كانت أيضا طلاس، وتعويدات موجهة لكسب الطبيعة وإبعاد الحظ السيئ، استعملت للحماية وتمديد الحياة وزيادة الخصوبة. لذلك كانت الأشكال الهندسية والفلكية أو الحيوانية التي تظهر بها رموزا سحرية.

أما اليوم فإن هذه الأشياء قد فقدت الكثير من مدلولها السحري ولم يبق لها سوى القيمة الجمالية، لكن هذا لم يمنع من بقاء بعض الحلي سواء في المناطق الحضرية أو الريفية مشحونة بالمعاني والدلالات المرتبطة بالعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية وبعضها يكتسي حتى صفة طيبة، ويمكن التطرق إليها حسب المواضيع الآتية:

#### أ. الدلالات في المواضيع الاجتماعية والاقتصادية:

تسعى المرأة في مجتمعنا منذ نعومة أظافرنا إلى اقتناء وكسب أكبر قدر ممكن من الحلي، ما أن تولد البنت حتى يبادر أفراد العائلة والأقارب إلى إهداء الحلي الذهبية بصفة خاصة حين تكون الإمكانيات المالية متوفرة، فتهدي الطفلة حليا من الذهب يدعى "الخامسة" كرمز الفرحة بولادتها أما بمناسبة أول صيام لها، فتحصل البنت على زوج من الأقراط أو الأساور.

تهدي الفتاة عند استقبالها لأول شاب يتقدم لخطبتها على حلي من الذهب (خاتم أو زوج من الأقراط) وتدعى هذه العملية في المجتمع "حق الرؤية"، وعند إتمام الخطبة تحصل على طقم كامل من الذهب "المهر" ويبقى أقارب الزوج يرسلون في كل مناسبة دينية مجموعة من الحلي تدعى المهيبه.

أما يوم الزفاف، فالعروس تظهر للعيان كل ما لديها من حلي، فهذه مناسبة للأسرة للتباهيوالافتخار بالثروة، وفي اليوم الموالي للزفاف يقدم الزوج لزوجته هدية تدعى "حق الحلال" أو حلي الكلمات الأولى، وعند تقديم الزوجة لأقارب العريس تتحصل على بعض الهدايا تسمى حق الخروج.

قد اشتهرت المرأة بالمبالغة في اتخاذ الحلي واقتناءها، لما كانت تحمل الكثير من الدلائل والرموز التي تبين وضع المرأة الاجتماعي، ومكانتها في مجتمعها، فهي زينة ضرورية للحياة اليومية لتصبح أهم أيام الأفراح والحفلات والمناسبات الخاصة، فكثرتها تدل على غنى حاملتها وعائلتها.

وهذه الحلي التي تحصل عليها المرأة تعد ملكا خاصا لها وتذخرها لضمان مستقبلها حيث تتحول الحلي إلى مصدر مالي، يمكن في الحالات الصعبة التصرف بحلية واحدة أو الكل وهذا بالبيع أو الرهن، أنها ستعوض ذلك عند تحسن الأوضاع.

ب. الدلالات الطيبية والمعتقدات:

-الخامسة أو اليد: وهذا النوع من الحلي سواء من الذهب أو الفضة أو حتى من النحاس فهي جد منتشرة في كل البلدان العربية على حد سواء، وهي رمز يحيي حاملها من الحسد والعين حسب الاعتقاد العام. نجدها في الأباذيم، الأقراط وقفل الحزام، والعقود.



إبزيم (القبائل)



قرط (الأوراس)



قفل حزام (الأوراس)



عقد (الأوراس)

الخميسة: فهو عقد ترتديه المرأة التركية ويسمى بالخميسة ومعناه خمسة أي اليد ودلالاته هو حماية الشخص من الحسد، وسوء الطابع وكذا من الأرواح الشريرة.



عقد (تمراست)

- العياشة: وهو نوع من الحلي خاص بالذكور فقط وله دور وقائي، فهو عبارة عن حلقة ذهبية تتكون من دائرة مستديرة وتزود بخامسة وتوضع في أذن المولود الجديد، تستعمله الأمهات اللواتي تفقدن أولادا ذكورا عند الولادة، فتثبت العياشة في أذن المولود الجديد طيلة عمره وعند ضياعها لا يكمن استبدالها.



حلقة أذن من الذهب (عياشة)

- عقد الشنتوف: ويسمى عند العامة بـ "شنتوف اللويز"، وهو عبارة عن عقد مركب من قطع نقدية ذهبية (اللويز)، تجمع بشكل صفوف أفقية أو عمودية في خيط حريري غالبا أسود اللون، يلبس أثناء المناسبات خاصة ليلة الزفاف والدلالة أنه رمز لاستهلاك الحياة الزوجية وبداية جديدة للعروس والعروسة وكذا كرمز للثراء والخصوبة حيث يوضع عند باب البيت الزوجية على ان يتجاوزه الزوج عند دخوله الغرفة. هذه العادة

خاصة بمدينة الجزائر<sup>1</sup>.



شنتوف اللويز (مدينة الجزائر)

<sup>1</sup> - حنفي (عائشة): الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني دراسة تاريخية أثرية وفنية - إشراف: أ د صالح بن قرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 - 2009 م، ص 129.

. عقد "السخاب": يوجد خاصة في منطقة الأوراس، حيث يصنع من طرف المرأة التي تضعه، والدلالات هو حماية الروابط الزوجية، وإذا كان زوجها غائب عن البيت فتضعه، وعند رجوعه تضعه لتعبر له عن حبها وسعادتها بحضوره.



عقد السخاب

. التعويذة: وهي عبارة عن علب فضية مزخرفة بأشكال نباتية وهندسية وتكون مختلفة الأشكال (مثلثة، مربعة، أسطوانية) وتوضع بداخلها كتابات ودلالات فهي تحمي الشخص من الشر والأرواح الشريرة، تكون هذه التعويذة إما بمفردها تعلق على غطاء الرأس أو تستعمل على شكل عقد.



عقد به تمانم مختلفة الأشكال  
(الأطلس الصحراوي)



عقد به تمانم مختلفة الأشكال (تميمون)

ت . الحلي التقليدي كوسيلة للاتصال:

وهي مجموعة من الحلي تستخدم في بادئ الأمر كوسيلة للزينة، لكن في نفس الوقت لها دور ثاني كوسيلة للاتصال، بحيث نجدها في المدن الكبرى مثل:  
العصابة: ترتبط بالحياة الزوجية بحيث ترتديها المرأة بمناسبة زواجها لأول مرة وتبقى على وضع هذا الحلي خاصة على جبينها افتخارا واعتزازا بهذه المكانة الممنوحة لها في

البيت الزوجي، وتبقى ترتديها في كل المناسبات كما أنها من خلاله تتجنب ردود أفعال الرجال في اقتراحهم منها لأنها في عصمة رجل ومن تم مضايقتها. تعتبر العصابة حماية لها حيث كان بعض القبائل تعمل على وضع لبناتهم المتزوجات هذا الحلي خلال الحروب التي كانت تسود بينهم بصفة بارزة.



### عصابة (القبائل)

تكون العصابة مرفقة دائما بحلي أخرى كخيط الروح مثلا في الجزائر وتلمسان.



خيط الروح (مدينة الجزائر)



عصابة (مدينة الجزائر)

حلقة الأرجل: اختلفت الخلاخل في الجزائر باختلاف مناطقها ففي الجزائر العاصمة الخلاخل الشائع هو " الرديف المنفوخ أو المنفوخ "، وهو عبارة عن خلاخل ذو أطراف فارغة ومنتفخة.

. خلاخل " الرنة": وهو عبارة عن حلي مزودة بسلاسل، وتسميته مأخوذة من الصوت الذي يصدره، إذ يصدر رنين عند المشي وبالتالي تضعه المرأة عند خروجها من البيت وعند مرورها أمام جمع من الرجال فإن هذا الصوت يدل على مرور امرأة بالجوار، لذا لا يكمن للرجال الالتفات إليها وتسمى بالشعبية في الجزائر " بالحرمة"، وإذا وضعت المرأة زوجين من حلقة الأرجل فيعني أنها متزوجة ولها أولاد.



خلخال الرنة (سطيف)



خلخال (الرديف)



خلخال الرنة (المدية)

لقد تغنى الشعراء منذ القديم بصوت الخلاخل والحلي فشبهوه ببعض النباتات التي تحدث أصواتا مع هبوب الرياح كما يقول الشاعر الأعشى في معلقته واصفا صوت الحلي بصوت نبات العشريق.

تَسْمَعُ للحلي وَسَواسا إذا انصرفت \*\*\*\*\* كما استعان بريحٍ عَشْرِيقٍ رَجَلِ



تَسْمَعُ للحلي وَسَواسا إذا انصرفت \*\*\* كما استعان بريحٍ عَشْرِيقٍ رَجَلِ

الإبزيم: في بعض المناطق من بلاد القبائل يوضع الإبزيم لإيصال رسالة، فالبنات التي تكون جاهزة للزواج تضع مشبك مثلث الشكل على صدرها وإذا تمت خطبتها تضع زوج من المشابك مثلثة الشكل، وفي مناطق أخرى عندما يتم تثبيت الإبزيم على الجهة

اليمنى من الصدر، هذه إشارة على أن البنت عزباء غير مرتبطة، وإثر خطوبتها تغير تثبيت هذا الإبزيم إلى الجهة اليسرى من الصدر، وبعد الزواج تستبدل هذا الحلبي بالعصابة إشارة إلى زواجها وهذا ما تطرقنا إليه سابقا، أما إذا رزقت بطفل ذكر، تضع على صدرها مشبك (أبزيم) آخر دائري الشكل دلالة عن ذلك وكذا لإبعاد الأذى والحسد عن المولود الجديد.



زوج من الأبايزم ( القبائل الكبرى )



إبزيم (القبائل الكبرى)



ابزيم منطقة الشاوية

بمناسبة زواج الإبن يوضع نفس الإبزيم على الرأس بحيث تضعه الأم على رأسها عندما تذهب لدعوة أقاربها وجيرانها للعرس، كما أنها لا تنزعه يوم الزفاف (العرس) فهكذا يتعرف الحاضرون على أم العريس بين النساء الأخريات فهن يضعنه (الإبزيم) على الصدر. في بعض المناطق كمنطقة ذراع الميزان مثلا، عند زواج ابنتها، تضع أم العريس السوار الذي يسمى "امشلوخ" بحيث يشد فوق الرأس بواسطة وشاح "أمنديل" وإن لم يكن لديها هذا السوار فهي تضع سوارا من نوع أمقياس.



زوج من السوار (أمقياس) (القبائل الكبرى)

كما زخرفت الحلي التقليدية بأشكال حيوانية، فنجد على سبيل المثال الثعبان في حلقة الأرجل وخاصة حلي الأوراس والأطلس الصحراوي وكذا شكل السمك والديك بالنسبة لقفل الحزام. وتمثل هذه الأشكال رمزية ودلالات متعارف عليها في كل أنحاء البلدان فالثعبان هو رمز الخصوبة، أما السمك فهو رمز الحماية والتكاثر أما العقرب فهو رمز للموت.



حلقة أرجل (خلخال) زخرفت أطرافها بشكل الثعبان . الأوراس .



قفل حزام زخرف بشكل سمكة (الأوراس)



قفل حزام به شكل الديك (الأوراس)

### خاتمة:

قد تختلف هذه التعابير من منطقة إلى أخرى حسب المعتقدات ولسوء الحظ فهذا النوع من الإرث في طريقه إلى الاندثار نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية وانفتاح هذه المجتمعات على عصر التكنولوجيا التي عملت على طمس واختفاء هذا النوع من المعتقدات وكيفية التعامل معها وعليه فإنه من المهم إطلاع الناس لاسيما الجيل الجديد على موروثات بلدهم، لكي تتعزز روحه الوطنية والإنسانية وتتحفز قدرته الإبداعية من خلال معرفته بما خلفه له من سبقوه، والاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم لاسيما في مجال الإبداع الفني والاستشهاد بالقيم السامية والنبيلة والسليمة التي كانت تسهم في جعل المجتمع أو المجموعة البشرية في حالة صحية سليمة، وإن الاهتمام بالموروثات يساهم في تعزيز الحوار بين الثقافات واحترام الإنسان لنفسه وهويته وانتمائه الوطني لأسلافه وبلده ويكون ذلك بالعمل على الحفاظ على هذا التراث الثقافي اللامادي لأنه جزء لا يتجزأ من عملية الحفاظ على الهوية الإنسانية.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. ابن سبدة (علي بن إساعيل): المخصص، المطبعة العصرية، تونس 1956 م.
3. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ج13، دار بيروت للطباعة والنشر 1955 م.
4. البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد): الجماهير في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن 355 هـ / 1936 م.
5. البستاني: دائرة المعارف، المجلد الثامن، مطبعة المعارف، بيروت 1886 م.
6. بن ونيش ف: " الحلي التقليدي في الجزائر، سلسلة فنون وثقافة، الجزائر 1976م.
7. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): الدرّ النثير تلخيص نهاية ابن الأثير، ج1، 1908 م.
8. سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980 م.
9. سعد الله (أبو القاسم): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الجزائر 1982 م.

10. سعيدوني (ناصر الدين): النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1830 - 1800 م، الجزائر 1979 م.
11. الطائش (أحمد): الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2000 م.
12. العسكري (أبو هلال): التلخيص في معرفة الأشياء، تحقيق: د عزة حسن، ج 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.
13. عطية الله (أحمد): القاموس الإسلامي، المجلد الثاني.
14. الفيروز آبادي (محمد الدين بن يعقوب): القاموس المحيط، ج 1، ط 2، مطبعة الباني العالي وأولاده 1371هـ/1953 م.
15. حاييم (زعفراني): ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط 1، الجزائر 1979 م.
16. حلبي (عبدالقادر): مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1810 م، المطبعة العربية للاباء الفكر الاسلامي، الجزائر 1972 م.
17. حنفي (عائشة): الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني دراسة تاريخية أثرية وفنية - إشراف: أ د صالح بن قربة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008 - 2009 .
18. موريس (لومباز): الاسلام في المجلد الأول القرن 25 هـ / 11 - 8 م، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ط 1، الجزائر 1979 م.
19. الوزان (حسن بن محمد): وصفافريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دارالعرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1983 .

20. BENFOUGHAL Tatiana Bijoux de l'Aurès, Paris, 1980 , et Bijoux et bijoutiers de l'Aurès,
21. CNRS Editions, Paris, 1997
22. Berque (A): l'Algérie terre d'art et d'histoire , Alger 1937.
23. Camps Fabrer (H), Bijoux berbères d'Algérie, Edisud, France, 1990.
24. Nombre et conput 'Or' in dictionnaire , Paris 1981.
25. Petits métiers algérois, Jourdan , Alger 1901.